ذلك ان ضعف بنية المريض ومزاجه الكنفاري قد دعانا الى ان نلاحظ هناك اشباعا دمويا لم تصادف في العضوية واحدا من الادوار التي يقوم بها الباسيل ، ولكن مع ذلك فقد قررنا اجراء الكي في راس المريض بناء على امكان وجود آفة درنية في شق رولاندو — القشر الدماغي وفي خلال ثلاثة اشهر اجرينا الكي بالترموفوتر ، في كلا نصفي القحف ، بصورة متوالية وبفواصل مختلفة ، ، وقد اضفنا الى هذه المداواة العنيفة من الجهة الاخرى اعطاء المسكنات ، بروموورال تريبونال وبهذه الكيفية طالت مدد الفواصل التي بين الهجمة والاخرى واخيرا انقطعت الهجات تماما وبعد سنتين استفهمت عن المريض فاخبروني انه معافى تماما

ان وسائل الدفاع التي لدينا الان ضد الصرعات الداخله تحت ستار الصرعات المستقله التي لا يمكن الاطلاع على اسبابها الموجبه ، هذه الوسائل انما هي كما هو معلوم لديكم عرضيه محضا

تعد الان البروموورات والبراميدوتات والتريبونالات والسولفونات من الوسائل الفعالة

وفي الواقع انها مؤثرة ولكن تأثيراتها غير موثوق بها وخاصه انها غير ثابتة

هناك بعض اصول للمداواة قد اكتشفت في الزمن الاخير وهي :

المداواة بالمصل (سروم) — وبوجد اختلاف فيها وهي لم تحرز الاعتماد عليها في ساحه التطبيقات بعد

لقد اوصى البعض بان يؤخذ السائل الدماغي الشوكي لشخص مصاب بالصرع وان يزرق في شخص آخر مصاب بالصرع كذلك ولم تحصل من هذه ايضا نتيجه حسنه الان الان

اما المداواة بازالة التوكسين الذي في الدم والمعالجه بالراديوتراپي والالكتيروتراپي ومعالجه العقدات السمپاتية التي في العنق بالكهرباء فكل هذه المعالجات قد اعطيت نتائج موقته لا يعتمد عليها

٢

بادئة بدء العلوم التشريحية والخلقية(*)

وطريقة نشأتها وتطورها

من فيزال الى هرفي

الدكتور : سليمان غزالة

ان فيزال يحق له بان يسمى واضع علم التشريح ومؤسسه . انه ولد في « بروكسل » سنة ١٥١٤ وهو من سلالة عالمية ، فان والده كان الصيدلي الامين لكارلوس الخامس ، وجده « افرارد » عالما متدربا بالعلوم والمعارف وله تآليف كثيره في الطب ، وهو شارح كتب الرازي التي لم يكن لهم غنى عنها وقتئذ

ان فيزال بعد ان كمل درس العلوم في « لوفان » ذهب الى « مونبليه » في فرنسا لدرس الطب ومن هناك الى باريس ليحضر الدروس التي كان يلقيها « دبوا » كان فيزال وهو في سن ١٦—١٧ من العمر عالما متبحرا في

(*) تابع للمسبق في العدد الماضي

جميع العلوم وكذا اللغات اللاتينية واليونانية والعربية والفرنسوية . واكثر ما امتاز به هو علم التشريح الذي درسه على « سلفيوس »

كان فيزال قد حير عقول الناس ومعلميه خاصة بكمال عقله وذكائه . فكان رفقاؤه حتى معلمه نفسه يركنون الى آرائه ويستشيرونه ويفرضون عليه شرح ما لم يكن معروفا عندهم مما ذكره جالينوس

انه في سن ٢١ سنة رجع الى لوفان وصار معاونا للمعلم « ارمانتاريوس » في تعليم علم التشريح وذلك سنة ١٥٢٥ ! وبعد ذلك ببضعة سنوات صار معلما بالفن المذكور في « سيارو » و « بيزا » ثم في بولونية

وفي سنة ١٥٤٢ وهو في الثامنة والعشرين من العمر نشر كتابه الاول الذي فيه نقض ما كان قد شيده جالينوس في التشريح ولم يبق منه حجرا على حجر

ان علمي التشريح والخلقة (*) وما يتعلق بهما كان الاعتماد فيه ، على ما كان دونه جالينوس ، نحوا من الف واربعمائة سنة . والحالة هذه ان تلك العلوم لم تكن علوما راسخة مبنية على اس الحقيقة بل انها كانت غالبا قواعد حدسية ونظريات تصويرية لم تستند على الرؤية والملاحظة ولا على درس الفطرة والطبع

كان فيزال في بادئة بدء دروسه منشغفا معجبا بكتب جالينوس وفصاحتها . ولكنه ما ان ابتدأ في التشريح هو بنفسه مشرحا الجثث البشرية صار يلاحظ ويتحقق عدم مطابقة كتب جالينوس للحقيقة . حتى انه اضطر الى تشريح بعض السعادين ليكتشف على مصدر معلومات جالينوس ، فوقع عليها

بناء عليه انه نبذ وطرح جميع ما كان قد تعلمه من الكتب وتلقنه من المعلمين وصار ياخذ واحدة فواحدة من جميع المسائل والقواعد والمبادى ليثبتها وبدونها بالتفصيل بناء على ما يراه ويشاهده ويتحققه بالفعل على الجثث البشرية . وبهذه الواسطة توصل منوفقا من تشييد اركان علم التشريح وقواعده فصار علما جديدا مبنيا على حقيقة الحال

لم يقم في العالم شخص عظيم الفضل ولم يضطهد . كما قيل :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يراق على جوانبه الدم

فمن المضطهدين من اجل الانباء بالحقيقة كان فيزال . وهو لم يكن ينكر الاخطار الملمة به من اجل وجوده الحقيقة ولكنه كان مستعدا لاحتمال امر العذاب مستشهدا للهدى والحق . وهذا ما كان قد قرره في مطلع كتابه المذكور

او كان من الممكن لرجل لم يكن يبلغ من العمر الثامنة والعشرين ان يخطئ جالينوس الذي يعتبر كلامه آية ؟ وان يهدم جميع ما شيده والفه وشهدت له الاعصار به ؟ وان يقيم هو بنفسه عوضها ويملئ القواعد والمبادى الجديدة ؟ ؟ وبكلمة : ان يبطل ايمان العموم ولم يقاومه احد من المعلمين الشيوخ في حياتهم كلها لم يروا ما رآه وعرفه هذا الفتى باوجز وقت ؟ او هل تخلو الدنيا من حسود عنود منافق

ان اول واعظم عدو لفيزال كان معلمه « دبوا » فانه

(*) نظن ان الكاتب المحترم يريد بالخلقة الفسيولوجيا وكان الاحرى به ان يسميها بالغريزيات اقتداء بالاتراك وهو في نظرنا اصلح (المجلة الطبية)

نسب اليه الجهل والحمقة والكبرياء والنعيمة حتى الكفر قائلا : ان فيزال يقذف من فيه كبريتا ليحرق العالم وسما يجي به اوربا كلها

اما فيزال فلم يكن يقابل معلمه الا بما يضاعف الحرمة والاكرام له . وعندما اضطربت اخيرا افكار العموم من اجل ما كان يقذف به « ديوا » وغيره على فيزال اضطر « شارل كنت » ملك اسبانيا سنة ١٥٥٦ ان يدعو علماء دار الفنون في « سلمنك » ليفحصوا كتب فيزال وينظروا ان كان يسوغ دينيا ان تفتح جثث الموتى لاجل العلم . بعد الفحص والتدقيق كان جواب العلماء والفقهاء هكذا : لما كان فتح جثث الموتى مقصود منه محضا نفع الجنس البشري فهو اذا جائز محال . فاقتنع الملك بذلك الجواب ودعا فيزال الى بلاطه وجعله راس اطبائه

ان فيزال لما لم يعد يتمكن من تكميل مشروعه من اجل وظيفته الجديدة عهد به الى تلميذه « جبرائيل فالوبيا »

وبعد ان توفي الملك « شارل كونت » بقي فيزال في وظيفته المذكورة على عهد الملك (فيليب الثاني) هذا ما جعله ان يكون معظما مكرما مكبلا بالانعام والعطايا ذائع الصيت فائق الاعتبار ممتازا مفضلا على جميع معاصريه من علماء واطباء . على ان ذلك السمو الاسمي لم يزد زملاءه الا غضبا وحقدا وحسدا عليه . فما طال ان اغتالوه يوما متهمينه بانه فتح بطن امرأة وهي لم تكن ميتة موتا حقيقيا فحاكمه الاسبانيون وحكموا عليه بالنفي . على ان الملك بدل ذلك الحكم من السفر الى الاراضي المقدسة وزيارة بيت المقدس ليكون كفارة عن ذلك الجرم . فسافر فيزال وزار القدس ولكن برجوعه لم يتوفق من الوصول لان نواها ئلا رمي بسفينته على جزيرة « جانط » حيث توفي وهو بسن الخمسين

ومما يستحق الذكر مما قال فيزال هذا الكلام : اني لقد اجهدت نفسي لكي ارى ماهية وكيفية جسم الانسان وتركيبه في نفسه وليس في جسم غيره . ولماذا اقيد نفسي واسخرها لقبول ما كتب الاولون الاقدمون وكتبهم مغلوطة مفقودة . ولما لا اطالع واقرأ ما اريد ان اعلمه وافهمه بكتاب الطبيعه الذى هو عندى في كل حين وهو لا يغلط ولا يصحف ولا يخفي الحقيقة على كل من احب رؤيتها رؤية طبيعية عارية عن كل تصنع وخضاب بثوب يصدق جمالها .

***

ان فيزال قسم تاليفه المذكور الى سبعة كتب موضوع الاول العظام والغضروف ، والثاني المفاصل وتركيبها والعضلات وخدمتها ، والثالث الاقنية الدموية وهي الشرائين التي تفرق الدم وتوصله الى اطراف الجسم والاوردة التي من شانها تسكين الحرارة في الروح الحيوية والرابع الاعصاب التي توصل الروح الحيوانية الى العضلات . والخامس تركيب الاعضاء التناسلية ، والسادس القلب الذى هو مركز الروح الحيوي ، والسابع الدماغ وآلات الحواس ونظامها .

وله ما عدا التشريح اكتشافات لا تحصى في الفسيولوجيا انه اختبر صحتها كلها بالامتحان على الحيوانات الحية ، ومن اهم ذلك مسائل كيفية التنفس وحركة القلب .

ان من تصفح كتاب فيزال ياخذه العجب العجاب

من سمو نظره في المواضيع التي احاط بها علما عميقا مدققا . واعظم منة عجبا انه بلغ من ذلك وهو في سن الثامنة والعشرين .

ولم يكشف فيزال في ما علمه من تركيب جسم الانسان فانه اشتغل كثيرا وتبحر عميقا في تشريح الحيوانات للمقابلة بينها وبين الانسان . وفي ذاك ايضا وضع قواعد واركان علمية لم يزدها الزمان الا رسوخا . انه بلغ في جميع ما كتب مبلغا تاما عجيبا لم يماثله به احد . فلا يمكننا ان نحدد اكتشافات فيزال في التشريح وحسبنا ان نقول بانه مؤسس وموحد هذا العلم برمته

***

ومن مزايا فيزال تخليفه تلامذة فطاحل يفتخرون بعلمهم ويفتخر العالم بهم . ومنهم « غابرئيل فالوبيا » الذي ارتقى منبر التعليم في التشريح وهو بسن الرابعة والعشرين . ومن اعماله معارضته لمعلمه فيزال ومحاماته جالينوس . ولكنه لم يتمكن من تبرير هذا الاخير وتخليصه مما عابه به فيزال .

(فالوبيا)

وكان (فالوبيا) طويل الباع متوغلا متدفقا في جميع المسائل . كفوءا للحكم بين ابوي علم التشريح القديم لجالينوس والجديد لفيزال .

وهو الذى كمل جمع ما تركه فيزال ناقصا في الفصول والمواضيع . ومن تلامذة فيزال ايضا « كولومبو » و« بارتلمي ارسطاش » ان لهذا الاخير يرجع الفضل في وضع وتاسيس اركان علم جديد وهو تركيب الانسجة (هيستولوجية) لان من قبله لم يكن احد يتعرض لذلك التشريح . فكان العلماء من قبله يخالون بان الكبد والطحال والكلى والرئة وعلى العموم جميع الغدد انها كلها مركبة من دم اندفق ثمة فجمد وتكون منه آله اوعضوا . ومن اجل ذلك كان « ايرازستيرات » قد سماها (بارانشيم) ما معناه (اندفق)

واما (اوستاش) فانه رفض ذلك وتبين تركيب كل منها بنوع مفصل مدقق . مع ان الوسائط المقتضية لذلك التدقيق والتحرى كانت غير مساعدة للتعمق فيه . وهو اول من بين لزوم فتح جثث الاموات Autopsie للتوصل الى معرفة وتشخيص الامراض ورؤية علتها في الاعضاء والغدد . اعني رؤيتها عيانا وعيانا .

واما التشريح المرضي Anatomie pathologique اعني فحص الانسجة والاعضاء لرؤية ما يحصل فيها من التبدل والفساد اثناء المرض — علة كان التبدل ام معلولا — فاول من تصور ورأي لزوما له كان « ارازستيرات » و « هيبوليت » مؤسسا مدرسة الاسكندرية اللذان كانا يفتحان ويشرحان الاموات لرؤية علة وسبب الموت اوالفساد الناتج عن المرض .

ومن بعدهما « روفس » الذى بين الفائدة من ذلك الفحص باكتشافه الاسباب المادية العضوية في امراض الكلي والمثانة .

ومن بعد ذلك لم يتمكن احد بل لم يخطر ببال احد درس تلك المطالعات حتى انتهاء الجيل السادس عشر .

وكان فيزال هو فاتح الباب ومعهد الطريق في ذلك لمن خلفه . اعني به ان تلميذه « كولومبو » ايد فعلا واكدا كتشافات وملاحظات معلمه ونشرها .

***

ولا يخفى ايضا ما لفيزال من الفضل فى وضعه علم التشريح عَلَى صخرة الفحص والتجربة والقراءة رأسا فى كتاب الطبيعة عوضا عن الاعتماد عَلَى كتب جالينوس المخطئة التي اضلت الناس واضاعتهم مدة اربعة عشر جيلا وهم في التيه لايعلمون كيفية تركيب اجسامهم ولا اسباب امراضهم .

قلت الفضل لفيزال لان لولاه لما توصل اوستاش تلميذه من معرفة وجوب التشريح النسيجي والمرضي . وعلى كل حال الفضل للاثنين فيه .

« والشركواتر »

ومن بعد فيزال واوستاش قام « والشركواتر » سنة ١٥٧٣ وبين اهمية التشريح الطبي وفوائده للعلم كان ام لحسن المعالجات . وطلب بان ترخص الحكومة وتبيح فتح جثث الموتى الذين لم يشخص مرضهم ولم يعرف سببه .

وهو الذى كتب ايضا بعض الملاحظات في علم الفزيولوجية الامتحانية . ومن ذلك ملاحظات حركات القلب وتسمع دويه . وامتحان منفعة الدماغ وكل جزء منه .

بناء على النجاح والنتائج الحسنة التى كانت تكتسب وترى عيانا حتى من عموم الناس بواسطة ذلك التشريح الطبي والامتحانات الفزيولوجية التجريبية صار كثير من العلماء يتخصصون لحرث ودرس مسألة واحدة . فمنهم للتشريح النسيجي ومنهم للطبي ومنهم الفزيولوجية ومنهم للتشريح يجد ذاته فقط . فكان المتخصصون يتزاحمون فيما بينهم كل فريق منهم يجاهد فى اظهار اهمية شعبته العلمية والفوائد المؤمل حصولها من النجاح فيها اوبالعكس .

ومن ذلك قول « اوستاش » وهو شيخ عندما راى فائدة التشريح الطبي وهو كان مشتغلا بالفزيولوجية التجريبية . ياليتني ابتدأت باكرا وقضيت عمري في التشريح الطبي . انه لحرث مخصب لايقاس عليه غيره .

فوقتئذ لم يكن اذا علم التشريح الطبي موضوعة اركانه وقواعده . ولكن العلماء اصحاب الحدس السليم كان قد حصحص لهم وميض النجاح المؤمل من العلوم الطبية كلها وكشف غوامضها بواسطة حرث التشريح النسيجي والطبي معا . فصار الكثير منهم يتغالبون ويتزاحمون للتقدم فيه واكتشاف شئ جديد مفيد غير مسبوق .

ونذكر من هؤلاء ثلاثة وهم : « بالين . بينيفيني . رمبردودنس » وهذا الاخير هو الذي نشر فى ذلك العلم كتابا سنة ١٥٨٤ حيث يقول فى مقدمته : ان افتتاح الجثث توا بعد الوفاة بقصد معرفة العلة الحقيقية للمرض . اى العلة التي كانت اثناء الحياة مجهولة غامظة وخفية عنا . هو امر بديهي لاريب فيه وهو خير واسطة وطريق لتقدم العلوم الطبية واسنادها عَلَى قواعد حقيقية تكون كمشكاة تنير الاذهان وتستكمل العقول . فنتوصل بها الى شرح واحدة فواحدة من حادثات وامارات الامراض اثناء الحياة وتشخيصها فمداراتها ومنع حصولها والتحذر منها .

وكان وقتئذ قد تقرر بان الفالج علة دماغية . وان بعضه يكون في الجنب المخالف للجهة المصابة من الدماغ

وحاصل الكلام : ان منذ ذلك الحين ابتدأ علم الملاحظات السريرية للامراض . اعني به ملاحظة المرضى وتدوين حادثات وعلامات مرضهم جميعها . لكى من بعد الموت تفحص الاسباب والعلل لدى الجثث والاكتشاف التشريحي .

وكان ل « دودنس » اعظم الفضل لاكتشافه بتلك الواسطة السبب القريب لاكثر الامراض ولافتتاحه فيه بابا واسعا وطريقا رحبا سار فيها الذين اتوا بعده فقادتهم الطريق الى مانحن عليه الان من درجة علم التشريح الطبي .

***

ويجدر بنا ذكر اشهر من تحري هذا الموضوع . فمنهم (ارانزى) من بولونية . وهو من تلامذة فيزال الذى امتاز في درسه . وفي وضعه علم نمو البيضة البشرية والاقسام التى تتركب منها مذ حين تصورها حتي الولادة . وهو فيه لم يكن يعتمد عَلَى جالينوس بل اظهر خطأه . (فارولي) من بولونية ايضا ولد سنه ١٥٤٥ وهو الذي حرث علم الدماغ وتشريحه .

(بكولومبنى) الذي من بعد فيزال اعطى اعظم الاهمية للمادة الستجابية وانبيضاء من الدماغ .

(فابريز يودا كويندنتى) الذى ابان جليا وجود ثنيات باطن الشرائين . وهذه بقيت لم تعرف منفعتها حتي اكتشفت (هارفي) الدورة الدموية .

(فاندنسبيغل) ولد فى (بركسل) ومات وهو في سن ٤٨ ولم يتمكن من نشر تأليفاته . ومما اشتهر به هو درسه الكبد بنوع خصوصي وكذلك الجنين وما يتعلق به . وطبع كتابه ١٦٢٦

***

ونقول بالاختصار : ان الدور الثاني من تاريخ التشريح هو الاطول والافضل فى النصف الاول منه كان الطب منقادا انقياد اعمى لاراء وتآليف الاولين لاسيما جالينوس . على انه في ذلك العهد . رغما عن التعصبات واليوساوس والخوف من فتح الجثث البشرية ودرسها . ابتدأ العلماء فى ادراك فائدة ذلك فى ايطاليا على الاخص . ولكن تلك النهضة لم تجد نفعا يعتد به ودام العلماء مستندين على جالينوس لايفيقون عَلَى اغلاطه .

واما النصف الثاني ففيه تحررت الافكار من نير جالينوس . ونضي العلماء ربقه العبوديه للاقدمين فاسقوا مليا الينابيع العلمية زلالا نقيا لم تدنسه التصورات الشخصية الوهمية . انهم . لم يستشيروا فيه فيلسوفا ولا معلما ملقنا بل قرأوا عَلَى الطبيعة دروسهم وما افضلها من معلم .

والفضل فيه يرجع الى فيزال وحده هو مكتشف وواضع علم التشريح فاتبعه فيه تلاميذه العلماء وتوصلوا الى اكتشافات لاعهد لها . فالفضل يعود الى فيزل بان (والشركولاتر) تسمى واضعا الفزيولوجية الامتحانية . و (زميردودنس) التشريح الطبي . و (اوستاش)علم تركيب الانسجة . و (ارزانى) و(فانسبيفل) علم الجنين .

يتبع

الدكتور : سليمان غزاله